دروس تربوية من الهجرة النبوية

إعداد الشيخ/ صلاح نجيب الدق
فرع بلبيس

الحمدُ لله ربِّ العالمين، والصلاةُ والسلامُ على نبيِّنا مُحمَّدٍ وعلى آله وأصحابه أجمعين.

وبعد: فإن هجرة نبينا صلى الله عليه وسلم، وأصحابه، من مكة إلى المدينة، شرفٌ عظيمٌ ومنزلةٌ سامية نالها المهاجرون، وهذه الهجرة المباركة ليست حدثاً عادياً، وانما هي رمز للتضحية والفداء من أجل الإسلام.

ولذلك سوف أذكر بعض الدروس التربوية المباركة من الهجرة النبوية، ليضعها المسلم أمام عينيه ليسير على ضوئها في حياته، فيسعد في الدنيا والآخرة، فأقول وبالله تعالى التوفيق:

(١) أعداء الإسلام للمسلمين بالمرصاد

إن أعداء الإسلام في كل مكان وزمان للمسلمين بالمرصاد. وهذه حقيقة ثابتة منذ أن أشرقت شمس الإسلام على العالم، ويتضح ذلك جلياً في هجرة نبينا صلى الله عليه وسلم وأصحابه بدينهم من مكة إلى المدينة؛ حيث تحمَّل نبينا صلى الله عليه وسلم الكثير من الأذى، وكذلك أصحابه الكرام مثل، بلال، وياسر وعمار وسمية وغيرهم؛ حيث منعهم المشركون من إقامة شعائر الإسلام. لقد اجتمع المشركون في دار الندوة لإعداد خطة يتخلصون بها من نبينا صلى الله عليه وسلم، ولكن الله تعالى كان لهم بالمرصاد.

قال الله تعالى: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ (الأنفال: ٣٠).

فيجب علينا أن نكون على حذر من أعدائنا، ونُعدّ لهم ما استطعنا من قوة.

(٢) الهجرة من المعصية إلى الطاعة

إن من أعظم الدروس المستفادة من الهجرة هي

Upload by : altawhedmag.com

هجرة المعاصي والتوبة النصوح والندم على ما فرَّطنا في حق الله تعالى، وحق رسوله صلى الله عليه وسلم، وحق نفسه، وحق المسلمين الكرام. قال الله تعالى: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (النور: ٣١).

والتوبة الصادقة لها شروط وهي:

(١) الإقلاع عن المعصية. (٢) الندم على فعلها. (٣) العزم على عدم العودة إليها أبدًا. (٤) رد المظالم إلى أهلها.

كيف يهاجر المسلم بجوارحه؟

يهاجر المسلم بلسانه من الكذب إلى الصدق. ويهاجر بعينيه من النظر عمَّا حرمه الله عليه إلى النظر إلى ما أحله الله له. ويهاجر بأذنيه من الاستماع إلى الغناء الماجن إلى الاستماع إلى القرآن وأحاديث نبينا صلى الله عليه وسلم، ودروس العلم النافع وكل ما ينفع المسلم في دينه ودنياه.

ويهاجر بيده من الكسب الحرام إلى الكسب الحلال. ويهاجر بقدمه من أماكن المعاصي واللهو إلى المساجد وأماكن الطاعات وطلب العلوم النافعة المشروعة التي فيها خدمة الإسلام والمسلمين. ويهاجر بقلبه إلى الله تعالى. وهجرة القلب تعني أن يكون دائمًا متعلقًا بالله تعالى وحده في جميع أحواله. وهذه أعظم هجرة في أعضاء المسلم. ويجب على المسلم أن يهجر البدعة إلى السُّنَّة، فيتبع نبينا محمدًا صلى الله عليه وسلم، في جميع الأقوال والأفعال.

(٣) حُسْن التوكل على الله مع الأخذ بالأسباب

إن حُسْن التوكل على الله مع الأخذ بالأسباب يظهر جليًا في إعداد نبينا صلى الله عليه وسلم لخطة الهجرة إلى المدينة، وإعداد أبي بكر الصديق للراحلتين مسبقًا، واستئجار نبينا صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن أريقط المشرك ليكون دليلًا له أثناء الهجرة، ثم أنه أمر عليًا أن ينام في فراشه في ليلة الهجرة، ليظن المشركون أن نبينا صلى الله عليه وسلم لا يزال نائمًا في فراشه. ويظهر الأخذ بالأسباب أيضًا في تكليف عبد الله بن أبي بكر وأخته أسماء وعامر بن فهيرة بمهام محدودة يقومون بها، وخروج الرسول صلى الله عليه وسلم وأبي بكر من الباب الخلفي لمنزل أبي بكر حتى لا يراهما أحدٌ من المشركين.

(٤) التضحية والصبر على الأذى من أجل الإسلام

يظهر ذلك بصورة واضحة في هجرة نبينا صلى الله عليه وسلم وأصحابه لبلدهم مكة المكرمة، وهي أحب بلاد الله تعالى إلى الله تعالى، وهي التي وُلدوا فيها وعاشوا فيها، وذلك من أجل الإسلام.

عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمكة: ما أطيبك من بلد وأحبك إليَّ ولولا أن قومي أخرجوني منك ما سكنت غيرك. (صحيح الترمذي للألباني حديث ٣٠٨٣).

ويظهر هذا الدرس في موقف أبي بكر الصديق أثناء الهجرة مع نبينا صلى الله عليه وسلم حيث كان أبو بكر يتمنى أن يفتدي رسول الله صلى الله عليه وسلم بحياته، وبكل ما يملك ابتغاء وجه الله تعالى.

(٥) الشباب الصادق دعائم الإسلام

إن الشباب المسلم الصادق (ذكورًا أم إناثًا) من أصحاب العقيدة الصحيحة، هم دائمًا دعائم الإسلام. ويظهر هذا واضحًا في موقف أسماء بنت أبي بكر الصديق والتي كانت لها مهمة بارزة أثناء الهجرة. وفيما قام عبد الله بن أبي بكر الصديق وعامر بن فهيرة؛ حيث كانا يحملان أخبار مكة إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، وعلي بن أبي طالب الذي استخلفه رسول الله صلى الله عليه وسلم لينام في فراشه حتى يخدع المشركين. (سيرة ابن هشام جـ٢ صـ٨٩: صـ٩٤).

(٦) حُسْن اختيار الصديق

ينبغي على المسلم أن يُحسن اختيار صديقه ومَن يرافقه في السفر بحيث يكون مسلمًا صالحًا أمينًا، ناصحًا لغيره من الناس. ويظهر ذلك في اختيار الرسول صلى الله عليه وسلم لأبي بكر الصديق لكي يكون مرافقًا له في هجرته من مكة إلى المدينة. ومن المعلوم أن الإنسان يتأثر عادة بأخلاق وأفعال من يرافقه. ولذلك حثنا نبينا محمد صلى الله عليه وسلم على حُسْن اختيار الصديق؛ فعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

Upload by : altawhedmag.com

المرء على دين خليله فليَنظُر أحدكُم من يُخالل. (مسند أحمد جـ٢ صـ٣٣٤).

(٧) التعاون والمحافظة على الأسرار من أسباب نجاح العمل

يظهر هذا الدرس جليا في هجرة نبينا إلى المدينة حيث لم يعلم أحد من الناس بالوقت المحدد للهجرة إلا علي بن أبي طالب وأبو بكر الصديق وآل أبي بكر، أما علي فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبره بخروجه وأمره أن يتخلف بعده بمكة حتى يؤدي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الودائع التي كانت عنده للناس. وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس بمكة أحد عنده شيء يخشى عليه إلا وضعه عنده؛ لما يعلم من صدقه وأمانته صلى الله عليه وسلم. (سيرة ابن هشام جـ٢ صـ٩٢).

(٨) الله تعالى ينصر عباده المؤمنين

إن تأييد الله تعالى لعباده المؤمنين الصادقين ونصرته لهم حقيقة ثابتة منذ فجر التاريخ. ويظهر هذا بصورة واضحة عندما صرف الله تعالى المشركين عن دخول الغار الذي يختبئ فيه نبينا صلى الله عليه وسلم وأبو بكر الصديق أثناء الهجرة من مكة إلى المدينة. قال الله تعالى: (إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) (التوبة: ٤٠).

وعن أنس قال: حدثني أبو بكر رضي الله عنه قال: كُنتُ مع النبي، صلى الله عليه وسلم، في الغار فرأيت آثار المشركين. قلت: يا رسول الله لو أن أحدهم رفع قدمه رآنا قال ما ظنك باثنين الله ثالثهما. (البخاري حديث ٤٦٦٣).

(٩) الله تعالى يستجيب دعاء عباده المخلصين

يتضح ذلك جليا في سرعة استجابة الله تعالى لدعاء نبينا محمد صلى الله عليه وسلم أثناء الهجرة: فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال (وهو يتحدث عن أحداث الهجرة) قال: فالتفت أبو بكر فإذا هو بفارس قد لحقهم فقال يا رسول الله هذا فارس قد لحق بنا. فالتفت نبي الله صلى الله عليه وسلم فقال: اللهم اصرعه. فصرعه الفرس ثم قامت تحمحم فقال: يا نبي الله مرني بما شئت. قال: فقف مكانك لا تتركن أحدا يلحق بنا. قال فكان أول النهار جاهدا على نبي الله صلى الله عليه وسلم، وكان آخر النهار مسلحة له. (البخاري حديث ٣٩١١)

وقال جل شأنه: (وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ) (غافر: ٦٠).

(١٠) أداء الأمانات إلى أهلها

يجب على كل مسلم أن يؤدي الأمانات إلى أهلها الذين ائتمنوه عليها وإن كانوا من أعدائه أو من غير المسلمين. ويتضح ذلك في هجرة نبينا من مكة إلى المدينة: حيث أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب بموعد الهجرة، وأمره أن يتخلف بعده بمكة حتى يؤدي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الودائع التي كانت عنده للناس. وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس بمكة أحد عنده شيء يخشى عليه إلا وضعه عنده لما يعلم من صدقه وأمانته صلى الله عليه وسلم. (سيرة ابن هشام جـ٢ صـ٩٢)

(١١) الصدق في الأقوال والأفعال طريق النجاة

يجب على المسلم الصادق أن يتجنب الكذب في جميع أقواله، ويمكن أن يستخدم المعاريض عند الضرورة. ويتضح هذا جليا فيما رواه البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال (وهو يصف أحداث الهجرة المباركة): أقبل نبي الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة وهو مُردف أبا بكر، وأبو بكر شيخ يُعرف، ونبي الله صلى الله عليه وسلم شاب لا يُعرف: قال: فيلقى الرجل أبا بكر فيقول: يا أبا بكر من هذا الرجل الذي بين يديك؟ فيقول: هذا الرجل يهديني السبيل. قال: فيحسب الحاسب أنه إنما يعني الطريق.

Upload by : altawhedmag.com

وإنَّما يَعْني سَبيلَ الْخَيرِ. (البخاري حديث ٣٩١١).

احذر أخي المسلم الكريم من الكذب وان كنت مازحاً.

عَنْ أَبي هُرَيرَةَ رَضيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ: إِنَّكَ تُدَاعِبُنَا. قَالَ: إِنِّي لَا أَقُولُ إِلَّا حَقًّا. (صحيح الترمذي للألباني حديث ١٦٢١).

(١٢) المرأة لها منزلة كبيرة في الإسلام

إن أحداث الهجرة المباركة أثبتت أن للمرأة مكانتها العالية في الإسلام. ويظهر ذلك جلياً في موقف عائشة بنت أبي بكر الصديق حيث حفظت أحداث الهجرة وبلغتها للأمة الإسلامية.

وتظهر منزلة المرأة في الإسلام أيضاً في موقف أسماء بنت أبي بكر الصديق (ذات النطاقين)؛ حيث ساهمت في إمداد نبينا صَلَّى اللَّه عَلَيه وسَلَّم وأبي بكر الصديق بالطعام والشراب أثناء وجودهما في الغار.

وتظهر مكانة المرأة في الإسلام في موقف أم سلمة هند بنت أبي أمية. فقد عانت الكثير في سبيل هجرتها إلى المدينة؛ حيث فَرَّق المشركون بينها وبين زوجها وابنها سلمة بعد أن فصلوا يد الطفل عن جسده. وعندما مات زوجها تزوجها نبينا محمد صَلَّى اللَّه عَلَيه وسَلَّم.

(١٣) العفو عن الناس عند المقدرة

ينبغي للمسلم أن يتصف بصفة العفو عن الناس؛ حيث إن هذا من الدروس المستفادة من هجرة نبينا صلى الله عليه وسلم حيث يتضح ذلك في العفو عن سراقة بن مالك الذي خرج من مكة ليقبض على النبي وأبي بكر الصديق ويفوز بالمائة بعير التي أعدتها مكة لذلك.

فعَن البَراء بْن عَازب عن أبي بَكْر الصِّدِّيق قال (وهو يتحدث عن الهجرة): فارتحلنا بعدما زالت الشمس واتبعنا سُراقة بْن مالك قال ونحن في جلد من الأرض. فقلت يا رسول الله أتينا؟ فقال: لا تحزن إن الله معنا. فدعا عليه رسول الله صَلَّى اللَّه عَلَيه وسَلَّم فارتطمت فرسه إلى بطنها. أرى فقال إني قد علمت أنكما قد دعوتما علي، فادعوا لي؛ فالله لكما أن أرد عنكما الطلب فدعا الله. فنجا فرجع لا يلقى أحدا إلا قال: قد كفيتكم ما هاهنا فلا يلقى أحدا إلا رده. قال: ووفى لنا. (مسلم حديث ٣٠١٤).

(١٤) الإسلام أرسى قواعد الأخوة الصادقة

إن هجرة نبينا محمد صَلَّى اللَّه عَلَيه وسَلَّم قد أبرزت الكثير من المعاني السامية وأرست العديد من المبادئ العظيمة ومنها مبدأ الإخاء الإسلامي الذي قامت عليه الدولة الإسلامية الجديدة، التي أقامها نبينا صَلَّى اللَّه عَلَيه وسَلَّم بعد الهجرة. فقد آخى الرسول صَلَّى اللَّه عَلَيه وسَلَّم بين المهاجرين والأنصار. وهذه المؤاخاة أخص من الأخوة العامة بين المؤمنين جميعاً. وذلك أعطت للمتآخين الحق في التوارث فيما بينهما دون أن يكون بينهما صلة من قرابة أو رحم. إن هذه الأخوة الربانية ليس لها نظير في تاريخ البشرية. لقد كان الأنصار يؤثرون إخوانهم المهاجرين على أنفسهم إيثاراً نادر الوجود.

(١٥) الإسلام يؤلف بين القلوب المتنافرة

إن العقيدة الإسلامية الصحيحة هي وحدها القادرة على التأليف بين القلوب المتنافرة وإزالة الحقد والكراهية والبغضاء بين الناس.

ويتضح ذلك جلياً بعد هجرة نبينا صَلَّى اللَّه عَلَيه وسَلَّم إلى المدينة حيث ألف الله تعالى بين قلوب الأوس والخزرج حيث عاشوا جميعاً في أمن وسلام بعد المعارك الطاحنة التي وقعت بينهما لسنوات عديدة حصدت خلالها الكثير من الأرواح من الجانبين.

قال الله تعالى: (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ) (آل عمران: ١٠٣).

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

Upload by : altawhedmag.com